

المقطف

الجزء الخامس من السنة الثامنة عشرة

١ فبراير (شباط) سنة ١٨٩٤ الموافق ٢٥ رجب سنة ١٣١١

العمران مسير لا يخير^٩

أجمع الباحثون والناقدون على أن العمران البشري جسم حي كسائر الاجسام الطبيعية يولد ونمو ويرثق ويهرم ويموت ويعتوره في اثناء حياته امراض وادوا شتى شأن الاجسام الحية وكل ما حدث في العمران وما سوف يحدث شبيه بما يحدث في الاجسام الطبيعية الحية وليس للانسان من يدير في تقديمه او تأخيرها او وضعه او رفعه أكثر مما للزرايع في اثناء الزرع وللكرام في اثناء الكروم . وقد كان الناس في اول امرهم جماعات يعيشون بالصيد والقتل ونوع بينهم افراد فاقوا غيرهم في عمل الآلات والادوات فاستعانوا بها على المعاش والسائط فتقوى امر الجماعات بهم وتدرجوا الى تربية الانعام وحرارة الارض واستنباط الاساليب المختلفة لتسهيل المعيشة وتعمير الرفاهة ولم يزل غذا شأنهم ولن يزال ما دام في قوة النمو في المجتمع الانساني وغني عن البيان ان كل واسطة استخدمها الناس في سبيل هذا الارتقاء كانت في اول الامر بسيطة ضئيلة لا يبدل ظاهرها على ما آلت اليه بعد حين فصناعة الكتابة بدأت بتقيل من الاشارات والعلامات تذكر البعض الحوادث او دلالة على الاشياء حين يتعذر وصفها بالكلام . ثم تدرجت في مدارج الارتقاء حتى صارت ترتيبات العقول وخزائن المعارف واصبحت من الضروريات التي لا غنى عنها . وصناعة الطباعة نشأت لتسهيل نسخ الكتب ولم يخطر على بال مستبطنها انها تم انظار المسكونة وتصير معتقد

الناس في بث آرائهم ونشر معارفهم وترويج متآخريهم ولا يبقى لهم عنها غنى بوجه من الوجوه والآلات البخارية صُنعت في اول الامر لنزح المياه من المعادن واقتصرت صانعوها على ذلك زماناً طويلاً ولوقام بينهم نبي وقئتذو وانبأهم بما تصل اليه بعد مئة عام لاستفروا نبوتة وما صدقوها اما الآن فتكاد الآلات البخارية تعمل جميع الاعمال حتى كدنا لانصدق ان نوع الانسان عاش في الراحة والرفاهة قروناً كثيرة وهو لا يعرف شيئاً من امرها والآلات الكهربائية كانت في اول امرها لعباً في ايدي رجال العلم يدهشون بها الناظرين باظهار بعض الغرائب الطيبيّة اما الآن فقد اصبح التلفراف الكهربائي احد ثمراتها من لوازم الحضارة التي لا يستغنى عنها . والفلاح المنفرد في اقصى بلاد الريف يبيت مطمئن البال بان ظللته التي رفها الى اكبر وزير في الحكومة بواسطة التلفراف منذ بضع ساعات قد بلغت في اقل من ساعة فامر بتحقيق الشكوى ورفع الظلامة ونظام البريد الذي اقتصر في اول الامر على نقل رسائل الملوك واوامرهم شاع الان حتى عم جميع الانتظار وصار واسطة لربط الناس في جميع معاملاتهم الودادية والتجارية والسياسية وبلغ من اتقانه ان صارت الرسالة ترسل به مسافة عشرين الف ميل بغرش واحد . والجريدة ترسل به هذه المسافة كلها باقل من ربع غرش واذا لم يوجد المرسل اليه اعيدت الى المرسل سليمتين . ومثل ذلك القود والمثل التجارية والصناعية فانها ترسل على هذا الاسلوب بما لا يذكر من الاجرة

وقس على ذلك سائر المخترعات والمنشآت الصناعية كالبنوك والمعامل والمصانع وشركات التأمين والتصدير والتوريد فانها كلها ظهرت ظهوراً طبيعياً حالما توفرت لها اسباب ظهورها ونمت نموّاً طبيعياً كما يظهر النبات من البذر وينمو الغصن من الشجرة ولم يكن للعلماء والحكماء والصناع يد في اظهارها وانماها اكثر ممّا للفلاح في اظهار النبات وانماها لانه مساعد على اعداد الارض وتدريب النمو ولكنه ليس علة له

ومن قبيل ذلك ان الاجسام الحية يظهر فيها من وقت الى اخر ميل طبيعي الى الانحراف عن خطتها الطبيعية والنمو على اسلوب جديد لم تكن تنمو فيه قبلاً او الارتفاع في جهة دون اخرى تبعاً لاسباب طبيعية . تنتولد منها تنوعات جديدة ثم يزيد الفرق بينها وبين النوع الاصيل على توالي الازمان حتى تصير أنواعاً قائمة برأسها . ويظهر مثل ذلك في نظام المجتمع الانساني فتنشأ فيه اميال جديدة يترتب عليها سير بعض جماعاته في جهة لم يسبوا فيها قبلاً فيصرون اهل فلاحه وزراعة مثلاً بعد ان كانوا اهل غزو وحرب او

يصيرون اهل علم وصناعة بعد ان كانوا اهل فلاحه وزراعة. وذلك كله تبعاً لاحوال
ليس في طاقتهم جلبها او دفعها

وعلى هذا الاسلوب اختلف الناس وامتاز بعضهم عن بعض في اميالم ومطالبهم قبل
ان كثرت وسائل الاتصال بينهم لكن هذا الاختلاف لم يتمكن طويلاً حتى تنزل منه
انواع مستقلة تماماً كثرت وسائل الاتصال عاد الامتزاج يترك ما افرق ويجمع ما
انفصل وسيبقى على هذه الخطة الى ان يتساوى شعوب الارض في عمرانهم ويصير
العمران نوعاً واحداً لا انواعاً مختلفة

وهذه المبادئ العمومية تطبق على تدرج العمران في الديار المصرية واسائر
الاقطار الشرقية كما تطبق على تدرجه في غيرها من البلدان. وكانها منذر ينظرنا بان
لكل درجة من درجات الارتفاع ولكل فرع من فروع اجلاً محدوداً تماماً جاء الاجل
وأعدت المعدات لانشاء الكك الحديدية مثلاً مهدت لها الصعاب وانخفضت الحطاب
وانشرت في جهات القطر طولاً وعرضاً وما جاء الاجل لمد الاسلاك البرقية جلبت من
اوربا واستمدت حتى بلغت اقاصي البلاد. واذا دعت الخال الى خزن مياه النيل في ايام
الفيضان وتوفرت الاسباب الداعية الى ذلك رأيت الجميع مستعزين لانشاء الخزانات
ولو لم يسبق لهم اهتمام بذلك

وغني عن البيان ان تسيير الاعمال بحسب دواعي الخال لا يعنى الناس من السعي
والجد لكي تكون الاعمال موافقة لمصالحهم نافعة لهم في الخال والمال كما ان غير النبات
الطبيعي لا يعنى الفلاح من حرث الارض وعندتها والاعتناء بالزروعات في درجات
نوعها. وعلى المرء ان يسعى لما فيه خيره ويساعد الطبيعة في الماء العمران ويلازم ادوائه
وتزرع ما يعتوره من دواعي الآخر ومن النوامي الفطرية التي تغيب كالتفرد بامتصاص دم
غيرها او تظهر بمظاهر الاحياء النامية وما هي الا مراكز الضعف ومصادر الخلال

داء الاستسقاء في النبات

ذكرت جريدة سينس (المعلم) الاميركية ان نبات الطماطم الربى داخل بيوت
الزجاج يعصاب احياناً بداء مثل داء الاستسقاء الذي يصيب الناس فتنتفخ سيقه واحصانه
انتفاخاً عظيماً ثم تشقق وينصب منها ماء غزير وعلة هذا الداء فيولوجية محضة لا دخل
للميكروبات فيها ولا هي معدية وسببها كثرة الرطوبة ومنع البخار من الاوراق